## نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿ إِنَّ لِكَيْلًا تَأْسَوْاْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفَرَحُوا بِمَا ءَاتَدَكُمٌّ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُغْتَالِ فَخُورِ ﴿ اللَّهُ \* :

فما هي المصيبة المعنية هنا؟ وما هو الكتاب؟ وما هو الرباط بين ترك الأسى والفرح وبين المصيبة المكتوبة؟:

المصيبة هي النائبة النازلة التي تصيب دون خطأ، الرامية المصيبة الهدف، وهي الرحمة المصيبة أهلها، من الصّوب: نزول المطر، فهي تجمع إصابة الحسنة والسيئة: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَينَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّنَةٍ فَين نَّفُسكُ ﴿ (١) .

وهذه الإصابات كلُّ بإذن الله: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٢) و﴿كُلُّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(٣) ولكنما الحسنة من الله كما هي من عند الله، والسيئة من نفسك وإن كانت بإذن الله ومن عند الله، فالله أولى منا بحسناتنا، ونحن أولى منه بسيئاتنا.

وإصابة السيئات قد تكون لأهلها بما كسبت أيديهم: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (٤) إصابة بذنوبهم: ﴿أَن لُّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَهُم بِذُنُوبِهِم ﴿ ﴿ فَهُ لَ إِلَّهُ مَا لَكُسَبَتُ أَيِّدِي اللَّهِ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتُ أَيَّدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ رَجِعُونَ ﴿ إِنَّ ﴾ (٦).

وإذا تصيب المصيبة السوء غير أهلها، فقد تكون امتهاناً لهم بما لم ينهوا وسكتوا ورضوا، كالتاركين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فهم قد تصيبهم ما تصيب أهل السوء من إصابات السوء، وقد تكون امتحاناً وتكفيراً عن سيئات كما لأصحاب اليمين، أو تكون ترفيعاً لدرجات كما

<sup>(</sup>٤) سورة الأعراف، الآية: ١٠٠٠.

<sup>(</sup>١) سورة التغابن، الآية: ١١. (٥) سورة الروم، الآية: ٤١. (۲) سورة النساء، الآية: ۷۸.

<sup>(</sup>٦) أصول الكافي عن على بن إبراهيم عن

<sup>(</sup>٣) سورة الشورى، الآية: ٣٠.

للسابقين المقربين، وكل ذلك تشمله آيتنا هذه، وآيات الكسب تخص غيرهم ممن لهم يدٌ في السوء مباشرة أم سواها (١).

وأما «كتاب» فيه المصيبات، فهل هو كتاب الإذن التكوين؟ اللهم نعم! إذن التكوين بعد إذن التقدير، وبعدما اختار أهل السوء سوءاً، أم وكتاب الإذن التشريع؟ اللهم لا! فإنه لا يأذن بالشر أو يشرعه، أم وكتاب العلم (٢) بما يأذن ويكون؟ طبعاً، فإنه بكل شيء عليم، فأحرى به أن يعلم بما يأذن.

وبما أن الإصابة - أياً كان - هي من خارج، تصيب الإنسان في الأرض أو في نفسه، وليست من أفعاله، فكونها في كتاب لا يعني الجبر، بل وإذا شملت أفعاله فكتابه المسبق لا ينافي الاختيار في الأفعال التكليفية، لأن كتاب العلم انكشاف عما سيكون، لا تسيير لما يكون، وكتاب التقدير يكون على قدر ما يكون بسوء الاختيار، وكتاب الإذن إبرام لما تتحقق مقدماته بالاختيار، وإن كان كتاب الإذن والتقدير تسييراً بالنسبة لنتائج السيئات وعكسياتها إذ لا مفر عنها، بل وهي أيضاً مختارة، فالامتناع بالاختيار لا ينافي الاختيار، اللهم إلا لمن تصيبه المصيبة تذكيراً وامتحاناً، وبأحرى من تصيبه ترفيعاً لدرجاته كالسابقين المقربين.

فأنت وأعمالك ومصائبك حسنة وسيئة، وأرضك، كلها ﴿فِي كِتَبِ مِّن قَبْلِ أَن نَبْرًاهَا ﴾: الأرض والنفس والمصيبة، فلا يخفى منك على الله

الصادق عَلَيْ «لما حمل علي بن الحسين عَلَيْ إلى يزيد بن معاوية فأوقف بين يديه قال يزيد لعنه الله: ﴿ وَمَا أَصَبَكُم مِن مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتُ أَيْدِيكُو ﴾ [الشورى: ٣٠] فقال علي بن الحسين عَلَيْ : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ الحسين عَلِيْ : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٧] فنحن وَلَا فِي كِتَبِ مِن قَبْلِ أَن نَبْرًا هَا إِنَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٧] فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما أوتينا منها.

<sup>(</sup>۱) علي بن إبراهيم بإسناده إلى عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله على في هذه الآية: صدق الله وبلغت رسله كتابه في السماء، علمه بها وكتابه في الأرض علومنا في ليلة القدر وغيرها، أن ذلك على الله يسير.

شيء، ولا تتغلب على مشيئته في شيء، ولا تُجبر على شيء، اللهم إلا في أجلك المحتوم، أو المعلق على غير عملك وفعلك، أو إصابتك بما أنت السبب، أو ما ليس لك نصيب في السبب، فإنها كلها ﴿فِي كِتَبِ مِّن قَبَلِ أَن نَبَرًا هَأَ ﴾ وهذا إعلام من الله مسبقاً:

﴿ لِكَيْلًا تَأْسَوْاْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا ءَاتَدَكُمُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ لَيْكُمُ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَا ءَاتَدَكُمُّ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُغْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ لَيْكُ ﴾:

ولماذا الأسى على ما فات ومضى، وهو مقدر كائن بحساب دون فوضى، فإن كان الفوت بسيئة منك فهذا شيء مرتقب، فلا تأس، وإنما غير سيرتك، وإن كان من غيرك فاعتبره لك عبرة وذكرى أو تكفيراً عن سيئات، أو ترفيعاً لدرجات، إذاً فلماذا الأسى على ما فات؟!.

ثم ولماذا الفرح والمرح بما آتاك الله، فلعله نعمة تضم نقمة فاستعذ منه بالله، أو تجربة فاستعن فيه بالله، أو كرامة من الله امتحاناً فلماذا الفرح؟ فهل تلهيك نعمة؟ وكثير هؤلاء الذين يلتهون! وليس الامتحان في النعمة أهون منه في النقمة: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِ وَالْمُنْيَرِ فِتَنَةً وَإِلْيُنَا تُرُجَعُونَ﴾(١).

فلا تحسبن النعمة لباقة منك ولياقة، ولا النقمة عذاباً وآفة، فقد تكون النعمة نقمة والنقمة نعمة، وقد تكون غير ذلك «والدهر لك يومان يوم لك ويوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر »(۲).

وهذه الآية تمثل أزهد الزهد في الدنيا لأهل الدين وكما عن علي أمير المؤمنين عَلَيْ الله « لِكَيْكُ تَأْسَوا عَلَى مَا المؤمنين عَلَيْكُ : «الزهد كله بين كلمتين من القرآن: ﴿ لِكَيْكُ تَأْسَوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمُ ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي

<sup>(</sup>١) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥.

<sup>(</sup>٢) عن علي أمير المؤمنين عليه .

فقد أخذ الزهد بطرفيه»(۱) . . وما من أحد إلا وهو يحزن أحياناً ويفرح أخرى، فليكن صابراً عند الإصابة السوء، وشاكراً عند الخير، دون جزع ولا بطر.

فليست هذه الآية بالتي تجمد الطاقات، وتدعو للاتكاليات، تعطيلاً للمساعي وإبطالاً لها مغبة الأقدار، لأنها ليست إلا حسب المكاسب، أو المصالح واللياقات، وما الخارج الناتج عن كسبه وسعيه ليخطئه لو قدر له امتهاناً أو امتحاناً، فعليه أن يعيش سعياً وكدحاً إلى خير، وراءَ أقداره العاكسة في كتاب، ولكي تصبح مصائبه خيرات وسيئاته حسنات.

هذه الآية تستجيش الإنسان وتستصلبه في الأحداث لكي لا يجزع ويستطار فتسحقه الأحداث، وتعصف به عواصف الزمن وقواصفه، بل يصمد عند الحوادث فيتغلبها دون أن تغلبه، وليستمر في نشاطه وكدحه تخفيفاً عنها أو قضاءً عليها أم صبراً حيث لا مندوحة إلا إياه، فيتعامل مع الأحداث كأنها مرتقبة طول الحياة، فيعالجها بنفسه لا أن يخالجها في نفسه تقسماً وانهزاماً، فالأسى على الفائت تشغل البال، والفرح بالآتي يفسد المآل، وهما من سوء الحال، فليكن المؤمن ثابت الحال في كل مجال، كالجبل الراسخ لا تزيله القواصف ولا تحركه العواصف، وهو عماد الزهد وسناد الكدح.

ولماذا «فاتكم» لفوات الحسنات، و«آتاكم»: الله لما أُوتي من رغبات؟... لأن فوت الحسنات مما كسبت أيديكم، والحسنات مما آتاها الله، فالخير كله بيديه والشر لبس إليه.

<sup>(</sup>۱) في نهج البلاغة عن علي عليه وفي أصول الكافي عن أمير المؤمنين عليه أن الناس ثلاثة: زاهد وصابر وراغب، فأما الزاهد فقد خرجت الأحزان والأفراح من قلبه، فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا يأسى على شيء منها فاته فهو مستريح.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلُّ مُغْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ فالمختال هو مفتعل الخيال والخيلاء والكبرياء، فهو فخور يفخر كثيراً بما خيّل إليه، يعيش حياة الخيال والفخر والكبرياء، ويأسى على ما فاته من الفائدات والرغبات كأنه حق له مغتصب، ويفرح بما أُوتي منها ويفخر كأنه حق له مرتقب، ومن ثم يبخل عما أُوتي من خير ويتخطاه إلى أمر الناس بالبخل:

## ﴿ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخُلِّ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُو ٱلْغَنِيُّ الْخَمِيدُ ( ) الْحَمِيدُ ( ) الْحَمِيدُ الْخَمِيدُ الْحَمِيدُ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهَ اللَّهُ اللَّالَّهُ اللَّهُ اللَّالَّ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّ

فما أجهله وأبخله، وما ألعنه وألأمه هذا النكد الأغود الذي يبخل بمال الله - الذي استخلفه فيه - عن عباد الله، ثم يأمر الناس بالبخل ليكونوا معه سواء، متولياً معرضاً عن الله، و﴿هُو الْغَنِيُّ اَلْحَمِيدُ ﴾ غني عن مالِك ومالك، غني عنك وعن غناك، غني في ذاته وعن مخلوقاته وهم الفقراء، حميد في ذاته وإن لم يكن له حامدون، فما يناله شيء من حمد الحامدين؟!.

﴿ لَقَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِئْبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَلَيْعُلَمَ ٱللَّهُ مَن يَضُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْفَيْبُ إِنَّ ٱللَّهُ قَوِئٌ عَزِيزٌ ﴿ فَإِلَى ﴿ وَمَنْفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَضُرُهُ وَرُسُلَهُ

هنا إقامة الناس بالقسط بمثلث: البينات والكتاب والميزان طوعاً، وتقويم لهم بالقسط، بالحديد البأس الشديد كرهاً، لمن ليس له طوعٌ إلى الحق ورغبة إلى القسط، الذين يجهلون أو يتجاهلون لغة الإنسان: البينات والكتاب والميزان، فليواجَهوا بلغة الحيوان: حديد فيه بأس شديد، ومن ثمَّ منافع للناس، لأنه يؤدب النسناس ويوقفهم لحد الناس، فمثلث البرهان حجة الناس، والحديد حجة على النسناس، فما هو الميزان بعد الكتاب؟ وما هي البينات قبله؟ وكتابات الوحى كلها بينات!.

إن القرآن بوحدته بينات وكتاب وميزان، ولكن سواه من كتابات الوحى

كتاب وليست ببينات معجزات، وإنما هي مبيّنات بمعجزات أصحاب الرسالات، ومهما كانت ميزاناً بالمآل، ولكنها بما تثبته البينات.

ومن ثم فحملة الرسالات يحملون معهم بينات تثبت تلكم الرسالات، معجزات كافية وآيات وحجج بالغة وافية لحمل الناكرين على التصديق، من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وإلا فليجابه بحديد.

ثم الكتاب الحامل لشريعة الله، ناهج مناهج الحياة في كافة الإطارات، وهل ترى الكتاب والبينات يكفيان لتقويم الناس بالقسط دون ميزان معهم يزنون به البينات والكتاب، ويزنون به الجماعات، فيثبتون الحجة ببيناتهم في قلوب الناس، ويحملونهم على تصديق الكتاب، ومن ثم إلى وعيه وتطبيقه؟.

كلا! إنه لا بد من ميزان: عقلي وعلمي وتطبيقي بوحي، كما الكتاب وحي ليوزن الوحي بالوحي، ويصدق الوحي ويطبق بالوحي!.

فميزان الرسل إضافة إلى البينات والكتاب، هو عقل الرسالة وروحها وعصمتها وقدسيتها وحكمتها وحكمها: ﴿لِتَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ عِمَا آرَكُ وَعَصمتها وقدسيتها وحكمتها وحكمها: ﴿لِتَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ عِمَا آرَكُ وَهَذَه الثلاث كلها نازلة من سماء الوحي: بينة وكتاباً وميزاناً، فلا يحمل الرسل من الأرض إلا قوالب وأجساداً، وأما القلوب والأرواح فهي نازلة بالوحي: ﴿وَيَسْعَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحَ قُلُ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي ﴾ (٢) روح القرآن وروح نبي السي المسل القرآن: ﴿يُلِقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِينُذِرَ يَوْمَ السَّلَاقِ ﴾ (٢) ﴿ وَلَيْ اللَّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ لِينُذِرَ يَوْمَ السَّلَاقِ ﴾ (٣) ﴿ وُلِي اللَّوْحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَا السَلَ الكرام أرواحهم القدسية وعقولهم وعصمهم موازين لوزن البينات الرسل الكرام أرواحهم القدسية وعقولهم وعصمهم موازين لوزن البينات والمرسل إليهم، ومن ثم ﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾!

<sup>(</sup>١) سورة النساء، الآية: ١٠٥.

<sup>(</sup>۲) سورة الإسراء، الآية: ٥٨.

<sup>(</sup>٣) سورة غافر، الآية: ١٥.

<sup>(</sup>٤) سورة النحل، الآية: ٢.

وترى أن الناس يقومون بالقسط - فقط - بالبينات والكتاب؟ كلا! وحتى المؤمنين منهم، فلا بدّ من ميزان لتقويمهم على حكم الكتاب بالعدل كما يقومون بالبينة والعقل، من ميزان الحكم القويم المستقيم على ضوء الكتاب بحجة البينات، فالحكومة الإلهية من الميزان النازل مع الكتاب، وإن كان الكتاب بميزان بيان الرسول يمثل التشريع، فميزان الحكم يمثل التنفيذ، فلا قوام لتشريع بلا ميزان الحكم، كما لا حكم وزيناً بلا تشريع إلهي.

هذه هي القوة التشريعية التنفيذية، وترى أنها تقوِّم الناس أجمعين؟ اللهم لا، إلا المؤمنين بالرسالات، الذين يعقلون فيؤمنون، وأما الذين لا يعقلون أو يجهلون أو يتجاهلون، صم بكم عمي فهم لا يرجعون، أما هؤلاء فلا بدّ عليهم من قوة رادعة عن التخلفات، ضابطة عن الهمجيات والفوضويات، وما هي إلا الحديد وبأسه الشديد:

﴿وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْشُ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾:

والحديد بوجه عام كل ما فيه حدة وصلابة وحتى حدة البصر: ﴿فَبَصَرُكَ الْيُومَ حَدِيدُ المعروف بأصوله وفروعه ومواليده.

و«إنزاله ذلك خلقه إياه»(٢) لا فقط من السماء فإن الله ليس ماكن السماء وساكنها، حتى ينزل ما ينزله منها، وإنما أصل الإنزال في أمثاله إنزال الرحمة من علوِّ ساحة الربوبية إلى المربوبين الهزلاء النازلين كما أنزلت الأنعام الثمانية، وإن كان ذلك لا يمنع نزوله أيضاً من السماء إلى الأرض كالأمطار.

فلما كانت الأرض شماساً مجنونة محترقة، كانت الفلزات كالحديد

<sup>(</sup>١) سورة ق، الآية: ٢٢.

<sup>(</sup>٢) الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عَلَيْكُ في الآية: فإنزاله ذلك خلقه إياه.

وأمثاله سائلات أحياناً وغازات وكبخارات في جو الأرض، أخرى، فلما أخذت تقر وتبرد شيئاً فشيئاً، أخذت السحب الغازية الحديدية وسواها تنزل فترة بعد أخرى فتدخل في شقوق الأرض أو تشقها فتدخلها فتصبح معادن تحت الأرض أو على مناكبها الجبال أحياناً!

والحديد هنا «يعني السلاح وغير ذلك» (١) مما يحد ويقدُّ، ومن بأسه الشديد ما هو عند البأس الشديد، ودور الحديد معروف طول التاريخ في الحروب وغيرها، إضافة إلى منافعها الأخرى.

إن البأس الشديد في الحديد لا يخص الأسلحة وفي حالة الحرب فقط، إنه يعم كل ما فيه الحاجة إلى البأس والقوة والصلابة، من صناعات وبنايات وزراعات وسائر الحاجيات المحتاجة إلى البأس، أو غيرها من منافع للناس:

﴿ وَلِيعَلَمُ اللّٰهُ مَن يَصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِٱلْعَبْبِ ﴾: و (يعلم) هنا ، كما في أمثالها ، من العلم: العلم: الميز - دون العلم عن الجهل: ﴿ لِيَمِيزَ اللّٰهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطّبِ ﴾ (٢) فمن ينصره ورسله بالحديد السلاح كما ينصر بسواه فهو الطيب، ومن لا ينصر قاعداً عن القتال في سبيل الله من أولي الضرر فهو الخبيث مهما نصر بسواه ، فعَلم الناصرين دين الله عن الخاذلين والمتخاذلين من أهم منافع الحديد، فالله يعلمهم تمييزاً لكم ، ليعرف بعضكم البعض في بلوى السلاح الحديد، فالله يعلمهم تمييزاً لكم ، ليعرف بعضكم البعض في بلوى السلاح الحديد : ﴿ وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَى نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنكُمْ وَلَطّبِينَ ﴾ (٢) ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن لَلُهُ وَلُكُمْ مَتَى نَعْلَمَ النَّيْنَ نَافَقُوا الْإِنْ اللّٰهُ الَّذِينَ جَهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصّبِينَ ﴾ (٤) ﴿ وَلِيعًلَمَ اللّٰهُ وَلِيعًلَمَ الضّبِينَ ﴿ وَلِيعًلَمَ الصّبِينَ ﴿ وَلِيعًلَمَ الصّبِينَ ﴾ (٤) .

<sup>(</sup>١) التوحيد للصدوق عن على ﷺ في الآية: يعني السلاح وغير ذلك.

 <sup>(</sup>۲) سورة الأنفال، الآية: ۳۷.

<sup>(</sup>٣) سورة محمد، الآية: ٣١.

<sup>(</sup>٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

<sup>(</sup>٥) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦٦، ١٦٧.

فالحديد السلاح، وموقف الحرب اللزام، إنه بلاءٌ يُبلى به المسلمون، فالجهاد عَلمٌ: علامة وميز - للمؤمنين، والقعود عن الجهاد، أو الفرار من الزحف دون مبرر، إنه عَلمٌ على المنافقين أو ضعفاء المؤمنين، عَلمٌ لنا بأمر الله، لا عِلمٌ لله بعد جهل أم ماذا!.

فمن ينصر الله ورسله «بالغيب»: نصرة الله الغيب، وللرسل الغيب، فإن رسالتهم غيب ولو تثبت بالأدلة الشهود، كما يثبت بها وجود الله، وكذلك من ينصر الله ورسله نصرة بالغيب، في عمق القلب وحق الرضا، دون نفاق ورئاء كمن ينصر ظاهراً، بلفظة قول أو عمل ما دام الأمل في هذه النصرة: أن تجلب له المناصب والأموال، أو تعطف إليه الأنظار، فإذا جاء الخطر وخاب الأمل فحيدى حياد!

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا . . . وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ . . . وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ . . . إِنَّ ٱللَّهَ فَوِئُّ عَزِيزٌ ﴾ :

فلأنه قوي الحجة والمهجة، قوي الرحمة والمحبة، قوي اللطف والعناية، جعل الناس تحت ظلال البينات والكتاب والميزان، ولأنه عزيز غالب محمود في غلبه، ينفّذ شريعته أخيراً بقوة الحديد، فللجهاد الدور الأخير بعد شلِّ الحجج في تقويم الأود وتدعيم العَمَد، رغم أنها بالغة دامغة، فالحديد ببأسه الشديد يفسح مجالات فاسحة للحياة الأمينة النبيلة، بما يكسح ويمسح وصمات العار عن جبين الإنسانية بدحر أعدائها وقهر ألدائها!

ثم الرسالات الإلهية هي رسالة واحدة في جوهرها، في مبدئها ومنتهاها، في معناها ومغزاها، مهما تشطرت في جزئيات هامشية منها، كما وأن أممها أمة واحدة: ﴿إِنَّ هَا إِنَّ هَا إِنْ إِنَّ هَا إِنْ اللهِ إِنْ هَا إِنْ هَا إِنْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ ا

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

وترى لماذا ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسَطِّ ﴾ لا المكلفون أجمع ومنهم الجان؟ هل لأن الرسل أرسلوا للناس فقط؟ وليست الرسالة محصورة لهم!

أقول: ليس إلا لأنهم محور الدعوة الرسالية والجان فروع، كما وأن رسالتهم فرع لرسالتهم، فالرسل الأصول هم من الإنس للمرسل إليهم الأصول، ثم الرسل الفروع الجنُ هم للمرسل إليهم الفروع الجن، والقيام بالقسط على ضوء هذه الرسالات معنيٌ فيهم أجمع.

وقد توحي ﴿ وَلِيعًلم ﴾ أنه الأصل في مثلث المنافع للحديد، ف ﴿ فِيهِ بَأْنُ شَدِيدٌ وَمَنكَفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ هما نفعان له بطبيعة الحال، قُصدا أم لم يقصدا، ولكن ثالث الأضلاع: «وليعلم» مقصود من الحديد، فالجهاد به خيرٌ من سائر بأسه، وأنفع من سائر منافعه، لأنه يحفظ بيضة الدين، ويؤمّن الحياة ويطمئنها للمؤمنين، كما وأن علم الناصرين منهم عن الخاذلين مما يبصّرهم في مجتمعهم، لكيلا يأمنوا إلى كل من يدعي الإيمان، نعمتان هامتان من بين سائر نعم الحديد!

## ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِيَّتِهِمَا ٱلنَّبُوَّةَ وَٱلْكِئَابِ فَمِنْهُم مُّهُتَدِّ وَكَثِيرٌ مِنْهُمُ فَسِقُونَ ۞ ﴿ :

إن شجرة النبوة الواحدة الباسقة، تمتد من فجرها وجذرها الأول الأصيل: «نوح» وإلى إبراهيم وموسى وعيسى، وتنتهي إلى خاتم النبيين محمد على وبين هؤلاء الأصول فروع متشابكة غير متشاكسة، تنبت من تلكم الأصول، ذرية بعضها من بعض ﴿فَمِنّهُم مُّهُتَدِّ ﴾ وفي مقدمتهم النبيون الذرية ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُم فَكَسِقُونَ ﴾ فليست النبوة للذرية لأنهم ذرية وارثة، فالنبوة لا تعرف الذرية ولا تورث، وإنما انتجاب من بين الذرية ﴿وَجَعَلْنَا فِي فَلْسِقُونَ ﴾ لأ أن كلهم أنبياء ذوو الكتاب.

﴿ ثُمُّ قَفَيْنَا ﴾ التقفية هي جعل شيء إثر آخر استمراراً فيه بما كان، فالرسل بعد نوح وإبراهيم إلى عيسى ابن مريم، بعضهم استمرار بعض: كل لاحق لسابقه في رسالة واحدة مهما كانت حملتها كثرة، كقوافي الشعر المتلائمة التي تشد بعضها بعضاً بالاقتفاء.

و ﴿ عَلَىٰ ءَاتَٰرِهِم ﴾ مما يؤكد هذه التقفية الاقتداء، وليس اقتداء رسول برسول مما يجعل المقتدي أدنى من المقتدى به وهو أعلى من المقتدي، ف ﴿ إِنَّ اللَّهُ دَىٰ اللَّهِ ﴾ (١) لا هدى النبيين، إلا حملاً لها أمانة وتبليغاً بها، وكما أمر سيد المرسلين أن يقتدي بهداهم: ﴿ أُولَتِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُ دَهُمُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ ا

و ﴿ بِرُسُلِنَا ﴾ هنا لا تعم الرسل أجمع، وإلا خرج عنهم نوح وإبراهيم من قبل، والمسيح ومحمد على من بعد، وإنما هم من بين نوح وإبراهيم والمسيح، مع التصريح بهؤلاء الثلاثة والتلميح أخيراً بمحمد في : ﴿ فَاتَيْنَا اللَّهِ وَالْمَسِيح، مع التصريح بهؤلاء الثلاثة والتلميح، فالإيمان الثاني هو الإيمان اللَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُم ﴾: من المؤمنين بالمسيح، فالإيمان الثاني هو الإيمان بالنبي المبشر به في الإنجيل محمد في ، كما ويصرح به وبكتابه في آية تجاوبها: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى ءَاثَرِهِم بِعِيسَى أَبِن مَرْيَم مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ التَّوْرَكَةِ وَءَاتَيْنَهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَيْ لَكُمْ وَمُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ وَلَيْحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ وَلَيْحَكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَتِهِكَ هُمُ

<sup>(</sup>١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣.

<sup>(</sup>۲) سورة الأنعام، الآية: ۹۰.

الْفَاسِقُونَ ﴿ إِنَّ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحَقِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَالْكَالِّ مَعَلَّنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَالْحَصُّم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ . . . ﴾ ﴿لِكُلِّ جَعَلَنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا . . . ﴾ (١) .

فلا تعني تقفية هؤلاء الرسل بالمسيح: ﴿وَقَفَيْنَا بِعِسَى آبُنِ مَرْبِعَ﴾ لا هنا ولا هناك إنه خاتم المرسلين، وإنما كتقفية لكل سابق بلاحقه، ومعظمه هنا تقفية الرسل الإسرائيليين بخاتمهم السيد المسيح، ومن ثم يقفى بالرسول الإسماعيلي الذي هو بكتابه مهيمن على الكتب والرسل أجمعين.

فمن الهراء القولة الفارغة أن المسيح المقفى به الرسل هو خاتم المرسلين، خلافاً للتلويح هنا والتصريح هناك أن محمداً هي هو الخاتم لا سواه (۲).

ولماذا لم يذكر موسى على بعدهما وقبل المسيح على وهو من الخمسة أولي العزم؟ علّه لأن المقام ليس مقام تعديدهم، ولذلك لم يذكر أيضاً سيدهم وخاتمهم محمداً على إلا تلويحاً. والعناية بذكر المسيح بعد الأولين ليس إلا لاستعراض بعض الأحوال من الذين اتبعوه أو ابتدعوا في شرعته، كما أن ذكر نوح وإبراهيم يعنى بيان ذرية النبوة في أصليها.

مثلاً لذلك ترى إنجيل المسيح لا يذكر بعد التوراة مع ذكر القرآن ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَبًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾ (٣) إيحاءً بأن الإنجيل هو الكتاب الوحي الفرع، لا يستقل عن التوراة، فليس نبي الإنجيل أفضل من نبي التوراة حتى يترك اسمه قبل المسيح هنا.

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

<sup>(</sup>٢) حاول الكاتب المسيحي (الحداد) في كتابه (القرآن دعوة نصرانية) إثبات أن المسيح خاتم النبيين بهذه الآية، بأن الرسل يشمل الكل، فلما قفوا بالمسيح فهو آخرهم وهو زور هراء كما بينا.

<sup>(</sup>٣) سورة الأحقاف، الآبة: ٣٠.

وكون المسيح من ذرية نوح وإبراهيم بين ، ولا ينسب إليهما إلا من ناحية الأم، يؤيد صدق الذرية على أولاد البنات، فالنصوص الإسلامية الدالة على اختصاص سهم السادة بذرية الرسول في تشمل المنتسبين إليه بالأمهات، وأصرح منها آية «أبناءنا»(١).

﴿وَءَاتَيْنَهُ ٱلْإِنجِيلُ ﴾ نص على نزول إنجيل واحد على السيد المسيح عَلَيْ السيد المسيح عَلَيْ ، لا أناجيل عدة متناحرة ألفَّه مؤلفون عدة ، حُصروا بعد ردح من الزمن وبعد غربلات في أربعة ، وهم مع ذلك مجهولون أو مجهولة نسبة هذه الأناجيل إليهم (٢) ، وقد نجد اسماً أو ممثلاً عن إنجيل المسيح عَلَيْ في بوتقات النسيان والتناسي ، يضيء أحياناً لمن شاء أن يستضيء (٣).

<sup>(</sup>١) ﴿ فَمَنْ حَآجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَلِيسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَلِيسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَلِيسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَلِيسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَلِيسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَلَيْ وَاللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى الْكَالِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١].

<sup>(</sup>٢) راجع كتابنا (المقارنات) وكما اوردنا فيه مقالة (لاردنر) نقلاً عن (فالتس): (إن هذا الأمر تحقق أن هذا العهد الجديد لم يصنفه المسيح ولا الحواريون مطلقاً، بل صنفه رجل مجهول ونسبه إلى الحواريين ليعتبره الناس، وآذى المريدين لعيسى إيذاءً بليغاً بأن ألف الكتب التي فيها الأغلاط والتناقضات) (ص ٤٨).

وتذكر دائرة المعارف الفرنسية عن بعض الأساقفة أن نسبة إنجيل مرقس ويوحنا إليهما زور وافتراء وإنما ألفهما بولس (٥٠). وفي دائرة المعارف البريطانية: (أما إنجيل يوحنا فلا شك ولا مراء أنه كتاب مزور) (٥٠). ويقول المفسر الإنجيلي الشهير (هورن): الحالات التي وصلت إلينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة منقطعة وغير معنية لا توصلنا إلى أمر معين (٥٢).

من مقالات الأستاذ (لن) أن إنجيل يوحنا بكامله تصنيف طالب من طلاب مدرسة الاسكندرية دونما تردد، ونسبه إلى يوحنا زوراً، ولقد كانت فرقة (لوجين) في ق ٢ م تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا (٥٠)...

<sup>(</sup>٣) إنجيل المسيح كان في العهد الأول في متناول الأيدي، وكما في دائرة المعارف الانجليزية وكتاب اكسهومو، واختاره الفاضل (اكهارن) وكثير من المتأخرين من علماء النمسا، ومال اليه المحققون: ليكلرك - كوب - ميكايلس - ليسنك - نيمير ومارش، وممن ظفر أخيراً بهذا الإنجيل المغفور له حيدر قليخان قزلباش المعروف بسر دار كابلي مترجم إنجيل برنابا إلى اللغة الفارسية. ويقال إن بروفسور (كربن) الفرنسي مندوب الأدباء الفرنسيين في إيران، =

وأما الرأفة والرحمة المجعولة في قلوب الذين اتبعوه، فهما أمر ملموس، لا في المسيحيين أجمع، وإنما الذين اتبعوه، وقد كان رؤوفاً رحيماً، فمن اتبعه، وفي رأفته ورحمته، فالله يجعلهما في قلبه زيادة في هداه.

وهؤلاء هم الذين جعلهم الله فوق الكافرين إلى يوم الدين: ﴿إِذْ قَالَ اللهُ يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ اللَّذِينَ اتَّبَعُوكَ يَعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرُافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ اللَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ اللَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيكَمَةِ ... ﴾ (١).

هؤلاء الأماجد، لا المسيحيين الناكرين للرسالة الإسلامية، جاهدين لها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوّاً، أو الكارهين للفحص والتحري عنها، المتجاهلين عناداً الحق فيها، وأما الجاهلون القاصرون منهم، المؤمنون، فلهم أجرهم ولا يُظلمون نقيراً.

﴿ وَرَهُبَانِيَّةُ ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَاءَ رِضُونِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَعَاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمْ أَجْرَهُمُ وَكُثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ( الْآلِيَّ) ﴿:

وما هي الرهبانية المبتدَعة؟ وكيف يجمع بين البدعة والكتابة الإلهية؟ وما هو حق رعايتها؟ وهل في الإسلام رهبانية كما في المسيحية؟

<sup>=</sup> اشترى هذا الإنجيل من مكتبة الكابلي بـ • • • • • • • ٥ ريالاً إيرانياً وأرسله إلى باريس. ومما يمثل هذا الإنجيل إنجيل برنابا القديس (راجع المقارنات).

<sup>(</sup>١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

<sup>(</sup>۲) سورة آل عمران، الآية: ٥٥.

الرهبانية في أصلها من الرَّهبة: الخوف مع تحرّز واضطراب، والرهبة من الله مأمورٌ بها: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَّهُ وَكِدُ أَ فَإِيَّنَى فَأَرَهَبُونِ ﴾ (١) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِن الله مأمورٌ بها: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَكِدُ فَإِيَّا كَانُوا وَرَهَبَا إِنَّهُمْ كَانُوا مِن عَيْر الله منهي عنها، ﴿فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤَمِنِينَ ﴾ (٢) و «مَن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومَن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

وترى إذا كانت الرهبانية من الرهبة: الخوف، فكيف تكون مبتدعة عند النصارى، ومنهية عندنا؟!...

أقول: لأنها شاكلة خاصة من الرهبة، منسوبة إلى الرهبان: المتعبدون الله في الأديرة والصومعات، بعيدة معزولة عن المجتمعات، فالرهبانية مصدر الراهب، ثم تحوَّلت اسماً لما فضل عن المقدار وأفرط فيه، أن تعيش بعيداً عن الحياة والأحياء، شاغلاً عن حاجيات الدنيا إلى عبادة الله، بترك ملاذها والزهد والتقشف فيها، والعزلة عن أهلها وتعهُّد مشاقها وكأنك في قبرك!

فالرهبنة من مبتدعات النصارى وليست من مبتدآت الله في أية شريعة من شرائعه، ولكن الله كتبها عليهم بعدما ابتدعوها، في إطارات خاصة وظروف وزمن خاص وكما يروى(٤)، ففريق رعوها حق رعايتها، وآخرون لم يرعوها.

<sup>(</sup>١) سورة النحل، الآية: ٥١.

<sup>(</sup>۲) سورة الأنبياء، الآية: ۹۰.

<sup>(</sup>٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

مجمع البيان عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله على الحمار فقال: يا بن أم عبد! هل تدري من أين أحدثت بنو إسرائيل الرهبانية؟ فقلت: الله ورسوله أعلم، فقال: ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى على يعملون بمعاصي الله، فغضب أهل الإيمان فقاتلوهم، فهزم أهل الإيمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا: إن ظهرنا لهؤلاء أفنونا ولم يبق للدين أحد يدعو اليه، فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي=

وقد تكون «رهبانية» بين جعل وكتابة إلهيين على كونها عطفاً لـ «مودة ورحمة» فالمجعول هو رهبة الرهبانية، جعلها الله في قلوبهم مع المودة والرحمة: ﴿وَجَعَلْنَا . . . وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيّةً . . . ﴾ والمكتوب هو الرهبانية الحقة بعدما ابتدعوها، والمبتدعة هي الانعزالية المطلقة عن الحياة إلى عبادة الله (۱).

إنهم حينما ابتدعوا الرهبانية، كتبها الله عليهم ابتغاء رضوانه، رفضاً لما فيها من غايات أخرى، فأصبحوا إذن مرتبطين بها أمام الله أن يرعوها حق رعايتها بما رفضوه عن أنفسهم وحرّم الله، وما فرضوه على أنفسهم وكتب الله، حفاظاً على متطلباتها من تطهّر وترفّع وعفة ومناعة وقناعة وعبادة، مما يحقق في نفوسهم حقيقة التجرّد لله، ولكنها انتهت في الغالب إلى طقوس جوفاء، فارغة عن الروح البراء، تجارة كغيرها من تجارات، إلا أنها بالدين وما أتعسه وأخسره من عناء لعناء!.

فمن حق الرعاية للرهبانية حصرها بزمن التقية، حفاظاً على دين الله وعلى البقية الباقية من المؤمنين بالله، وأما أن يترك فيها اللذات المحلات كأنها محرمات، كالنساء وأمثالها فلا!.

وأما أن يستمر بها في كل زمن كأنها من صلب الدين وحتى زمن القدرة على إظهاره والدعوة إليه، وكما قد يفعله الرهبان المسيحيون، فلا.

ومن حق رعايتها الإيمان بالرسول المبشر به من المسيح والنبيين قبله:

وعدنا به عيسى عَلَيْ - يعنون به محمداً على - فتفرقوا في غيران الجبال وأحدثوا رهبانية ، فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةُ ٱبْنَدَعُوهَا مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَا ٱبْتِغَاءَ رِضُونِ ٱللهِ ﴿ [الحديد: ٢٧]، ثم قال على الله عبد! أتدري ما رهبانية أمتي؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة.

<sup>(</sup>١) ﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآ اَ رِضُونِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد: ٢٧] استثناء متصل كما بينا، وكونه منقطعاً ينافي وجود المفعول (ها) في (ما كتبناها) فلا معنى لكونه منقطعاً إلا على تاويل مستهجن يذاد عنه ساحة كلام الله بل وكل كلام فصيح أو وعادى غير فصيح.

محمد على كما قال: «من آمن بي وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون»، فإن الرهبة الحقيقية من الله تحل عقد العصبية، وتشرح الصدر لتصديق ما وصى به الله.

فهؤلاء الكرام هم الذين آمنوا بمحمد في وصدقوه ﴿فَاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنْهُمُ أَجُرَهُمُ فَكِيْرٌ مِّنَهُمُ فَكِيرُ مِّنَهُمُ فَكِيرُ مِنْهُمُ فَكِيرُ مِن ديره فآمنوا به وصدقوه»(٢) وهؤلاء هم القلة القليلة الذين وصاحب الدير من ديره فآمنوا به وصدقوه»(٢) وهؤلاء هم القلة القليلة الذين رعوا الرهبانية حق رعايتها ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمُ فَكِيرُ مِنْهُمُ فَكِيرُ مُنْهُمُ فَكِيرُ مِنْهُمُ فَكِيرَ وَالنّعَالَةُ وَلَا المُعَالِقُونَ فَي المُعَالِقُونَ التحمير والاستثمارات!.

فكثير من الراهبين التاركين الزواج بواحدة، يغوصون في بحر من الدعارات بالراهبات، وكثير من الراهبات التاركات الشهوات، الرافضات الزواج الواحد، يتلوثن بدعارات في الأديرة مع جماعات الرهبان.

٧V

<sup>(</sup>۱) الدر المنثور ٦: ١٧٧ أخرج جماعة من الحفاظ عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله عن يا عبد الله! قلت لبيك يا رسول الله! ثلاث مرات، قال في: هل تدري أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أوثق عرى الإيمان الولاية في الله بالحب فيه والبغض فيه، قال: هل تدري أي الناس أفضله، فيه، قال: أفضل الناس أفضله، قلت: الله ورسوله أعلم، قلت: الله ورسوله أعلم، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس وإن كان مقصراً بالعمل، وإن كان يزحف على استه، واختلف من كان قبلنا على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرها، فرقة وأزرت الملوك وقاتلتهم على دين الله وعيسى ابن مريم حتى قتلوا، وفرقة لم يكن لهم طاقة بمؤازرة الملوك ولا بالمقام معهم فساحوا في الجبال وترهبوا فيها وهم الذين قال الله: ﴿وَرَهْبَانِيّةٌ أَبْتَكَوُهُما مَا كُنبَنّهَا عَلَيْهِمْ إِلّا الْبِيّكَآءَ رِضُونِ اللهِ وصدقوني ﴿وَكِيْرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]: الذين آمنوا بي وصدقوني ﴿وَكِيْرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ﴾ [الحديد: ٢٠]: الذين كفروا بي وجحدوني، وروى الذي قبله ابن مسعود عنه هي.

<sup>(</sup>٢) المصدر أخرج النسائي والحكيم الترمذي في نوادر الإيمان وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس في حديث طويل. . .

هذا! ولكنما الرهبانية في الإسلام ممنوعة بكافة صورها، فكان من حق رعايتها للرهبان المؤمنين بمحمد أن تركوها لأنها ممنوعة في الإسلام، كما قال الرسول في: «رهبانية أمتي الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة»(۱) جمعاً بين ألوان الواجبات الجماعية والفردية ومن أهمها الجهاد وكما قال: «رهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله»(۲) طبعاً وبكل الطاقات: نفساً ونفيساً، قلماً ولساناً وفكراً أم ماذا، دون الرهبانية الانعزالية الصومعية التقشفية، العازلة عن الحياة، المنعزلة عن المجتمعات، ولو كانت محصورة في العبادات، فالإسلام كله حياة، وكله هجرة، وكله جهاد، وكله حج وعمرة وصلاة، لا تختلف إلا في الصورة، وأما السيرة والمسيرة فصيغة واحدة هي: سبيل الله!.

إن الرهبانية حتى الحقيقية منها لم تكتب علينا، وإنما أبدل عنها بالجهاد، وما ألطفه المروي عن الرسول على حيث يقول: "إني لم أُؤمر بالرهبانية» (٣) "إن الرهبانية لم تكتب علينا» (٤) "وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام» (٥) حتى ولا حالة التقية، دونما حاجة إلى صومعة أو دير، ويروى أن نفراً من الصحابة أخذهم الخوف والخشية حتى أراد بعضهم أن يعتزل عن النساء، وبعضهم الإقامة في رؤوس الجبال، وبعضهم ترك الأكل والشرب فنهاهم النبي على عنها وقال: "لا رهبانية في الإسلام»، وقال:

<sup>(</sup>١) كما مضى حديثه عن المجمع عن ابن مسعود وفي عيون الأخبار عن أبي الحسن الرضا عليه قال: صلاة الليل.

<sup>(</sup>٢) الدر المنثور ٦: ١٧٨ أخرج أحمد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلى والبيهقي في الشعب عن أنس أن النبي على قال: لكل أمة رهبانية ورهبانية هذه الأمة الجهاد في سبيل الله.

<sup>(</sup>٣) أحمد بن حنبل ٣، ٨٢، ٢٦٦.

<sup>(</sup>٤) سنن الدارمي نكاح ٣.

<sup>(</sup>٥) أحمد بن حنبل ٦: ٢٢٦.

V9

«رهبانية أمتي في المسجد»، وإن كنت ولا بد، فكن في الناس - إذاً - ولا تكن معهم، وآخر المطاف أن تهاجر بدينك إلى بلد يحملك أو تتحمله، أو القتل أخيراً في سبيل الله، فإن الحياة عقيدة وجهاد.

فبدعة الرهبانية فلتة بين البدع، إذ ليست في النار "وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" فإنهم حفاظاً على إيمانهم لم يجدوا بداً من هذه البدعة، وقد احتفت بجعل إلهي لرهب الرهبنة من قبل مع المودة والرحمة في قلوبهم، وبكتابتها كرهبنة حقيقية بعدما ابتدعوها: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ النَّينَ البَّعُوهُ رَأْفَةً وَرَهُمَانِيَّةً . . . مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِعَاءَ رِضَوَنِ النَّينَ . . . مَا كَنَبْنَهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِعَاءَ رِضَوَنِ

ومن ثم المؤمنون أجمع سواء المسلمون وسواهم كالذين اتبعوا المسيح، هم يؤمرون أن يؤمنوا بالرسول على تكملة الإيمان بالرسالة، أو الإيمان بها:

## ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِ عُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن تَّمْتِهِ وَيَجْعَل لَكُمْ اللَّهُ عَفُورٌ تَحِيمٌ اللَّهُ \*: لَكُمْ أُواللَّهُ عَفُورٌ تَحِيمٌ اللَّهُ \*:

هنا يبرز الرسول محمد على بشموخ الرسالة كأنه الرسول لا سواه: ﴿وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ ﴿ وَأَن الرسل قبله قد هيأوا ظروف رسالته العالمية الختمية دون أن يستقلوا بجنبه في شيء، اللهم إلا رسالة للتعريف به وتعبيد المسالك لوصوله، كالصفوف التكميلية المهيأة لقمة الثقافة!.

والمخاطَبون أن يؤمنوا ثانياً بهذا الرسول هم المؤمنون من أهل الكتاب وسواهم، وعد كلاً كفلين من رحمته، فالأولون إذ كانوا مؤمنين من قبل ثم استجدوا الإيمان به فلهم أجران<sup>(۱)</sup> والآخرون إذ آمنوا أولاً ثم ازدادوا إيماناً

<sup>(</sup>١) الجمع عن النبي ﷺ في حديث: وأيما رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ فله أجران.

فلهم كفلان، ومن ثم فمن لم يؤمن من أهل الكتاب تجاهلاً وعناداً فلا كفل له ولا أجر وإنما وزر على وزر، وإذا كان جهلاً قاصراً فله أجر، كمن آمن بالرسول من غيرهم ثم لم يستجد الإيمان فله كفل، والمشركون وسواهم الذين لم يؤمنوا أولاً وأخيراً فعليهم وزر ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾(١).

فلما نزلت هذه الآية قالوا يا معاشر المسلمين! أما من آمن منا بكتابكم فله أجران ومن لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجوركم فأنزل الله هذه الآية: الكفلين (٣).

إذاً فالمحور الأصيل فيها هم المؤمنون من غير الكتابيين كما ويدل عليه: ﴿ لِنَكَّ يَعْلَمُ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِن فَضّلِ ٱللهِ . . . ﴾ فإنهم بحجة آية الأجرين علموا تفوقهم على المؤمنين لو آمنوا، ومساواتهم لو بقوا، فلا يقدر المسلمون على شيء من فضل الله!.

كلا! فهناك إيمان من أهل الكتاب قبل أن يسلموا، ثم إيمان بعده فلهم أجران، وهنا إيمان من غيرهم بداية، ثم تقوًى تحكّم ذلك الإيمان فلهم كفلان، حيث الإيمان الأول للآخرين هو الإيمان الثانى للأولين، فقد فاقهم

۸.

<sup>(</sup>١) سورة الإسراء، الآية: ٨٤.

<sup>(</sup>۲) سورة القصص، الآيات: ٥٢-٥٥.

<sup>(</sup>٣) الدر المنثور ٦: ١٧٩ أخرجه الطبراني في الأوسط عن ابن عباس، وابن أبي حاتم عن مقاتل ابن حيان.